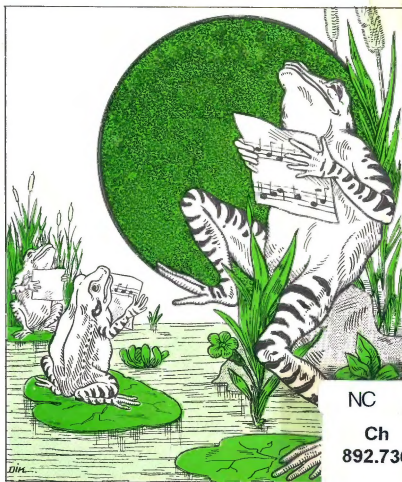


كامل كراي
قصص عامية



NC

Ch

892.736

ك
1

أصدقاء الربيع

دار المعارف

اهداءات ٢٠٠٢

أ/ رشاد كامل الصيلاني

القاهرة

کامل کیلانی

قصص علمیّة

أَصْدِقَاءُ الرَّبِّيعِ

الطبعة الحادية عشرة



دار المعارف

مقدمة

ولدي رشاد :

شَدَّ مَا آلَنِي وَحَزَنِي أَنْ تُحَرَّمَ تِلْكَ الْمَتَعَ الْعَقِيلَةَ الَّتِي يَنْمُ بِهَا
فِي الْبِلَادِ الْمُتَحَضَّرَةِ الْأُخْرَى أَثْرَابُكَ وَلِدَاتُكَ ، أَعْنِي : الثَّنَاتِ وَالْبَيِّنَ
الَّذِينَ وَلِدُوا فِي زَمَنِ وَلَادَتِكَ وَأَصْبَحُوا الْآنَ فِي مِثْلِ سِنِّكَ .
وَقَدْ آلَيْتُ (حَلَفْتُ وَأَوْجَبْتُ) عَلَى تَفْنِي أَنْ أُسْلِكَ وَأُثَقِّقَ
(أَعْلَمَكَ) وَأُقَرِّبَ لَكَ - جَهْدَ مَا أَسْتَطِيعُ - تِلْكَ الثَّمَارَ الْيَالِقَةَ
(الَّتِي طَابَتْ وَحَانَ قِطَافُهَا) ، فَتَرَجَّمْتُ وَقَبَسْتُ لَكَ مِنْ طَرَائِفِ
الْقِصَصِ نُجْبَةً مُخْتَارَةً تَنْمُو بِقِرَاءَتِهَا وَدَرْسِهَا ، كَمَا لَعِمْتُ بِدَرْسِ الْقِصَصِ
الْجُغَرَاْفِيَّةِ مِنْ قَبْلُ . وَلَنْ يَكُونَ إِعْجَابُكَ بِهَذِهِ الْقِصَصِ الْعِلْمِيَّةِ
أَقَلَّ مِنْ إِعْجَابِكَ بِتِلْكَ الْقِصَصِ الْجُغَرَاْفِيَّةِ ، الَّتِي ظَفِرْتَ بِإِبَالِكَ عَلَيْهَا ،
وَنَالَتْ مَوْفُورَ رِضَاكَ .

وَبَعْدُ ، فَلَيْسَ لِي فِي هَذِهِ الْقِصَصِ إِلَّا جُهْدُ الْاِخْتِيَارِ وَالتَّرْجَمَةِ
وَالاِقْتِبَاسِ . أَمَّا جُهْدُ الْاِبْتِكَارِ وَالْاِبْدَاعِ (الْاِخْتِرَاعِ) ؛ فَقَدْ اَلْقَيْتُهُ عَلَى
عَاتِقِكَ لِتُوَدِّيَهُ إِلَى اَطْفَالِ جِيلِكَ الْقَادِمِ ، مَتَى كَبُرَتْ سِنُّكَ وَكَمَلَتْ
كَمَافُتُكَ .

وَلَيْسَ فِي قُدْرَتِي أَنْ اَزِيدَ عَلَى وَضْعِ الْاَسَاسِ الصَّالِحِ أَمَّا الْبِنَاءُ ، فَقَدْ
وَكَلْتُهُ إِلَيْكَ . وَأَنَا عَلَى ثِقَةٍ أَنَّكَ مُحَقِّقُ هَذَا الرَّجَاءِ ، وَمُوَدِّرُ هَذَا الدَّيْنِ
— مَتَى أَصْبَحْتَ فِي عِدَادِ الرِّجَالِ الرَّاشِدِينَ — إِلَى أَبْنَائِكَ وَحَفَدَتِكَ
أَوْلَادِ اَوَّلَادِكَ) ، عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ ، وَأَوْفَى غَايَةٍ مَـ

كامل كيرافني

الفصل الأول

١ - العالمُ البَهِيجُ

فِي أَصِيلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ شَهْرِ « مَارِس » هَبَّ نَسِيمٌ دَافِقٌ يُبَشِّرُ
بِمَقْدَمِ الرَّبِّيعِ : مَلَكَ فُصُولِ السَّنَةِ ، وَيُوذِنُ بِاتِّقْضَاءِ فَصْلِ الشِّتَاءِ .
وَقَدْ اسْتَقْبَلَتِ الْكَائِنَاتُ كُلُّهَا هَذَا الْفَصْلَ الْبَهِيجَ فَرَحَانَةً مُتَهَلِّلَةً ،
وَدَبَّتْ حَرَارَةُ الشَّمْسِ فَأَنْعَمَتِ النُّفُوسُ ، وَأَخَذَتِ الْأَرْضُ زِينَتَهَا
فَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ .

٢ - يَقْظَةُ النَّائِمِ

وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ أَطْلَعَ صَاحِبُنَا النَّشِيطُ : « أَبُو بُرَيْصٍ » مِنْ حُفْرَتِهِ
- وَكَانَتْ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنَ الطَّرِيقِ - وَحَاوَلَ أَنْ يَتَنَسَّمَ الْهَوَاءَ (يَشَمَّهُ)
بَعْدَ أَنْ حُرِّمَهُ زَمَنًا طَوِيلًا . وَمَا أَخْرَجَ أَنْفَهُ مِنْ حُفْرَتِهِ حَتَّى
بَهَرَ عَيْنَيْهِ شُعَاعُ الشَّمْسِ (غَلَبَ صَوْنُ الشَّمْسِ نُورُهُمَا فَكَادَ يُعْمِيهِمَا)
فَلَمْ تَقْوَيَا عَلَى النَّظَرِ إِلَيْهِ ، لِإِغْيَادِهِمَا ظِلَامَ الْحُفْرَةِ أَشْهَرًا عِدَّةً .

فَأَسْرَعَ «أَبُو بُرَيْصٍ» عَائِدًا إِلَى جُحْرِ الْمُظْلِمِ .
 وَكَانَ «أَبُو بُرَيْصٍ» قَدْ نَامَ فِي تِلْكَ الْحُفْرَةِ - الَّتِي اتَّخَذَهَا دَارًا لَهُ -
 خَمْسَةَ أَشْهُرٍ كَامِلَةً ، وَلَمْ تَرَ عَيْنَاهُ ضَوْءَ الشَّمْسِ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْمُدَّةِ
 الطَّوِيلَةِ ! فَلَيْسَ فِي قُدْرَتِهِ - الْآنَ - أَنْ يُوَاجِهَ شُعَاعَهَا السَّاطِعَ ،
 دَفْعَةً وَاحِدَةً .

٣ - «أَبُو بُرَيْصٍ»

أَرَاكُمْ تَسْأَلُونَ ، وَقَدْ عَرَّيْتُمْ (أَلَيْتُمْ بِكُمْ ، وَعَرَّيْتُمْ
 لَكُمْ) دَهْشَةً . تَرَى : مَا هُوَ «أَبُو بُرَيْصٍ» ؟
 وَلَوْ أَمَعْتُمْ الْفِكَرَ قَلِيلًا ، لَعَلِمْتُمْ حَقِيقَتَهُ .
 وَإِنِّي ذَاكِرُكُمْ بِبَعْضِ أَوْصَافِهِ ، لِتَعْرِفُوهُ بِإِلَاءِ عَنَانِهِ .
 أَمَّا لَوْنُهُ فَهُوَ رَمَادِيٌّ ، وَأَمَّا ذَنْبُهُ فَطَوِيلٌ نَحِيفٌ . وَلَهُ - إِلَى هَذَا -
 عَيْنَانِ حَدَاتَا الْبَصَرِ ، وَأَرْجُلُ أَرْبَعٍ غَايَةُ فِي الْقِصَرِ ، وَجِسْمٌ مُنْقَطِعُ
 الْقُشُورِ . وَهُوَ يَأْوِي إِلَى جُحْرِ صَيِّقٍ ، فِي حَائِطٍ قَدِيمٍ مُتَهَدِّمٍ ، أَوْ حُفْرَةٍ
 مَهْجُورَةٍ ، حَيْثُ يَتَّخِذُ مِنْهَا بَيْتًا يَسْكُنُهُ .

أُظْهِرْكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ حَقِيقَةَ «أَبِي بُرَيْصٍ» الْآنَ ! أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟
 نَعَمْ : فَإِنَّ «أَبَا بُرَيْصٍ» هُوَ الْبُرْصُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ وَتَرَوْنَهُ يَنْظُرُ
 إِلَيْكُمْ بِمِثْنَيْنِ فَاحْصَتَيْنِ (بَاحِثَتَيْنِ) يَعْرِوهُمَا (يُصِيبُهُمَا) دَهْسٌ وَحَيْرَةٌ ،
 وَهُوَ يُطْلُ عَلَيْكُمْ مِنْ سَقْفِ الْحُجْرَةِ أَوْ حَائِطِهَا .

٤ - الرُّفْقَةُ النَّائِمَةُ

وما اسْتَقَرَّ «أَبُو بُرَيْصٍ» فِي جُحْرِهِ الْمُظْلِمِ رَمَنًا بَسِيرًا ، حَتَّى عَاوَدَهُ
 نَشَاطُهُ ؛ فَظَنَّ إِلَى رِفَاقِهِ : الْبَرَصَةَ ، فَرَأَاهَا لَا تَزَالُ نَائِمَةً مُنْذُ الْخَرِيفِ ؛
 فَضَحِكَ مِنْهَا سَاخِرًا ، وَقَالَ :

« هَا هَا هَا ! يَا لَهَا مِنْ مُتَكَاسِلَةٍ نَوْمٍ (كَثِيرِهِ النَّوْمِ) ! إِنَّهَا
 لَا تَزَالُ رَاقِدَةً مُنْذُ الْخَرِيفِ ، وَأَفْوَاهُهَا مَفْتُوحَةٌ ... هِيَ ! أَمَا أَنَّ لَهَا
 أَنْ تَسْتَيْقِظَ مِنْ سُبَاتِهَا (نَوْمِهَا) ، لِتَسْنُفِلَ الرَّيِّعَ الْبَهِيحَ ! »
 ثُمَّ اسْتَأْنَفَ «أَبُو بُرَيْصٍ» كَلَامَهُ (عَادَ إِلَى حَدِيثِهِ) ، وَهُوَ
 يَتَعَدَّدُ عَنْ رِفَاقِهِ (أَصْحَابِهِ) ، وَيَمْجَبُ مِنْ تَكَاسُلِهَا ، وَيَقُولُ :
 « إِنَّهَا غَارِقَةٌ فِي نَوْمِهَا ، فَهِيَ صُمٌّ لَا تَسْمَعُ ، وَكَأَنِّي - إِذَا أُنَادَيْتُهَا -
 أُنَادِي حِجَارَةً . فَوَدَاعًا ، أَيُّهَا الرِّفَاقُ ! »

٥ - بهجة الربيع

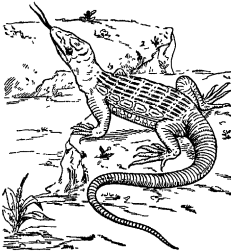
ثُمَّ خَرَجَ «أَبُو بُرَيْصٍ» مِنْ جُحْرِهِ ، لِيَنْتَمَ بِحَرَارَةِ الشَّمْسِ
تَارِكًا رُقَّتَهُ (أَصْحَابَهُ) مُسْتَسْلِمَةً إِلَى النَّوْمِ ، وَأَنْشَبَ مَخَالِبَهُ
(عَلَّقَ أَظْفَارَهُ) الصَّغِيرَةَ فِي حَائِطٍ قَرِيبٍ مِنْ جُحْرِهِ ، وَاسْتَقْبَلَ الرَّبِيعَ
فَرَحَانًا مُبْتَهَجًا .

وَمَا اسْتَقَرَّ فِي مَكَانِهِ لِحِظَةً حَتَّى تَمْلِكَهُ الشَّرُورُ ، فَبَرَقَتْ عَيْنَاهُ
السَّوْدَاوَانِ ، وَاضْطَرَبَ ذَيْلُهُ الطَّوِيلُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ ؛ لِأَنَّهُ رَأَى
فُرْصَةً سَانِحَةً لِتَحْقِيقِ مَأْرِيهِ (رَغْبَتِهِ) .

٦ - الفريسة

أَتَعْرِفُونَ سِرَّ هَذَا الْفَرَسِ ؟ إِنِّي مُخْبِرُكُمْ بِهِ :
لَقَدْ سَمِعَ «أَبُو بُرَيْصٍ» حَرَكَةً خَفِيفَةً طَالَمَا أُعْجِبَ سَمْعُهُ بِطَنِيهَا
(صَوْتِهَا) ؛ فَابْتَهَجَ وَظَهَرَ نَشَاطُهُ ، وَتَرَبَّصَ (انْتَظَرَ وَتَرَقَّبَ)
لِإِتْهَازِ تِلْكَ الْفُرْصَةِ السَّانِحَةِ ، وَأَرْهَفَ سَمْعَهُ (أَصْنَى وَتَسَمَّعَ) ، حَتَّى
يَتَبَيَّنَ صَاحِبَ الصَّوْتِ .

ورأى « أبو بُرَيْصٍ » ذُبَابَةً زَرْقَاءَ ، تَطِيرُ مِنْ حَوْلِهِ ، وَتَطْنُ بِالْقُرْبِ مِنْهُ : « زِي ... زِي ... » ؛ فَاشْتَغَلَ بِصَيْدِهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَتَرَصَّدَ لَهَا حَتَّى لَا تُفْلِتَ مِنْهُ ، وَحَدَّقَ بَصَرَهُ فِيهَا .



وَلَوْ رَأَيْتُهُ حِينَئِذٍ لَرَأَيْتَ مَنَظَرَآ عَجَبًا ؛ فَقَدْ كَانَ يُخْرِجُ لِسَانَهُ وَيَلْحَسُ شَفَتَيْهِ ، مُحَفِّزًا لِإِقْتِنَاصِ فَرِيَسَتِهِ فِي شَرِّهِ (حِرْصٍ شَدِيدٍ) لَا مِثِيلَ لَهُ . ثُمَّ أَعَادَتِ الْحَشْرَةُ طَيْنَهَا : « زِي ... زِي ... » ،

وَمَازَتْ إِلَى حَجَرٍ نَائِيٍّ (مُرْتَفِعٍ خَارِجٍ) فِي طَرَفِ الْحَائِطِ . فَغَضِبَ « أَبُو بُرَيْصٍ » مِنْ فِرَارِهَا (مَرَبِّهَا) ، وَحَزَنَهُ أَنَّهَا لَا تَكَادُ تَسْتَقِرُّ فِي أَيِّ مَكَانٍ تَحُلُّ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ دَقِيقَتَيْنِ . وَلَمْ تَمُضِ لَحْظَةٌ أُخْرَى ، حَتَّى أَفْتَرَبَتْ مِنْ « أَبِي بُرَيْصٍ » ،

وَحَامَتُ (دَارَتْ) حَوْلَ طَائِفَةٍ مِنَ الْحَشَائِشِ ، وَلَمْ تَقْطُنِ الْحَمَاءَ
إِلَى عَيْنَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ تَرْقُبَانِهَا ، وَتَتَرَبَّصَانِ لَهَا .

فَقَالَ صَاحِبُنَا وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ :

« لَقَدْ حَانَتِ الْفُرْصَةُ ، وَإِنِّي - إِنِ اضْغَعْتُهَا - لَا كَوْنَنُ مِثَالًا
لِلْحَمَافَةِ وَالْكَسَلِ ! »

ثُمَّ اسْتَعَدَّ « أَبُو بُرَيْصٍ » ، وَهَيَّأَ لِإِقْتِنَاصِهَا - فِي حَذَرٍ
وَاتْتِبَاهٍ - وَقَالَ :

« واحد ... اثنان ... » ثُمَّ هَبَّ (نَهَضَ وَقَفَزَ) فِي الثَّالِثَةِ
هَبَّةً وَاحِدَةً ، فَأَصَابَ طَلِبَتَهُ (حَاجَتَهُ) ، وَظَفَرَ بِصِيدِهِ السَّمِينِ .
وَامْتَلَأَتْ نَفْسُ « أَبِي بُرَيْصٍ » غِبْطَةً وَسُرُورًا لِنَجَاحِهِ وَظَفَرِهِ
بِتَحْقِيقِ أُمْنِيَّتِهِ ، وَالتَّمَعَّتْ عَيْنَاهُ ، وَاهْتَرَّ ذَيْلُهُ فَرَحًا وَابْتِهَاجًا .

ثُمَّ قَالَ وَلِسَانُهُ يَخْتَلِجُ (يَتَحَرَّكُ وَيَرْتَعِشُ) مِنْ قَرَطِ السُّرُورِ
« مَا أَلَذُّ طَعَامًا ، وَمَا أَشْهَاءُ غِذَاءً ! فَلْتَلَمَّسَنَّ وَاحِدَةً أُخْرَى . »

الفصل الثاني

١ - في عرض الحائط

وبعد أيام قليلة استيقظت البرصة من سباتها (نومها) العميق ،
 وذهبت طائفة منها - مع صديقها « أبو برئص » الشيط - لتنع
 بحراره الشمس ، وانتشرت على الحائط القديم تستقبل الريح مبهجة .
 وكانت تلك الطائفة تتألف من : آباء بدينة (سينة) ممتلئة ، وأُمَم
 نحيفة الجسم جميلة المنظر (أمَمات . والأُمَمات للحيوان كالأمَمات
 للإنسان) ، وجمهرة (جماعة) من الأبناء يتجلى فيها النشاط والطيش .
 وكان « أبو برئص » الشيط جالساً على حجر - بالقرب من
 رفاهه - وقد سغله التفكير عنها فلم يتحرك من مكانه .

٢ - « دابة النهر »

فاقترب منه أحد أصحابه ، وسأله قائلاً :
 « هيه يا صاح ! ما بالك مُسنِّلاً للتفكير ، مُبتمداً عن رفائك ؟ »

فَدَهَشَ «أَبُو بَرَيْصٍ» لِهَذِهِ الْمَفْاجَأَةِ ، وَقَفَزَ مِنَ الشَّجَرِ (نَطًّا مِنْ
 الْخَوْفِ) ، ثُمَّ قَالَ لِصَاحِبَتِهِ : « لَقَدْ أَسَأْتُ إِلَى - يَا «أُمُّ سَلَمَى» -
 وَقَطَعْتُ عَلَى تَفْكِيرِي فِي صَدِيقَتِي الْقَدِيمَةِ : دَابَّةَ النَّهْرِ ! »
 فَقَالَتْ لَهُ « أُمُّ سَلَمَى » : « مَاذَا تَقُولُ ؟ دَابَّةُ النَّهْرِ !
 مَنْ هِيَ ؟ فَإِنِّي لَا أَكَادُ أَذْكُرُهَا ! »

فَقَالَ لَهَا «أَبُو بَرَيْصٍ» :
 « كَلَّا يَا صَاحِبَتِي ، بَلْ أَنْتِ تَعْرِفُهَا وَلَا تَجْهَلُهَا . وَمَا أَغْنُكَ قَدْ
 نَسِيتِ الصَّفْدِعَةَ الْخَضْرَاءَ الْجَمِيلَةَ الَّتِي كَانَتْ تَتَحَدَّثُ إِلَى فِي الصَّيْفِ
 الْمَاضِي ، وَقَدْ كُنَّا نَدْعُوهَا : « دَابَّةُ النَّهْرِ » .

مَا كَانَ أَجْمَلَ عَيْنَيْهَا ، وَأَبْدَعَ مَنَظَرَهَا ، وَأَشْعَى حَدِيثَهَا ... ! لَقَدْ
 نَعِمْنَا بِلِقَائِهَا زَمَنًا ، ثُمَّ نَفَرَقْنَا فِي الْخَرِيفِ ؛ فَذَهَبَتْ « دَابَّةُ النَّهْرِ » إِلَى
 حُفْرَتِهَا - فِي أَسْفَلِ هَذَا الْحَائِطِ - هَرَبًا مِنَ الْبَرَدِ .

٣ - عَوْدَةُ الْحَزِينِ

وَإِنِّي لِأَسْأَلُ نَفْسِي :

كَيْفَ حَالُ هَذِهِ الصَّدِيقَةِ الْمَرْزُوقَةِ ؟ وَمَاذَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهَا ؟
فَهَلْ تَتَفَضَّلِينَ يَا « أُمُّ سَلْمَى » فَتُنَادِيَهَا ، فَإِنِّي لِلْقَائِمَةِ لَعَلَى شَوْقٍ شَدِيدٍ .
فصاحتُ : « أُمُّ سَلْمَى » ، وَصَرَخَتْ « أَبُو بَرَيْصٍ » - فِي نَفْسِي
وَاحِدٍ - يُنَادِيَانِ صَاحِبَتَهُمَا : « دَابَّةُ النَّهْرِ » . وَلَكِنَّ « دَابَّةَ النَّهْرِ » لَمْ
تُجِبْ نِدَاءَهُمَا ، وَقَدْ دَعَاوَاهَا بِأَعْلَى صَوْتَيْهِمَا مَرَّاتٍ عِدَّةً .
فَعَادَ « أَبُو بَرَيْصٍ » إِلَى مَخْبِئِهِ مَحْزُونًا مُتَأَلِّمًا ، يُفَكِّرُ فِي مَصِيرِ
صَاحِبَتِهِ الْمَرْزُوقَةِ ، وَيَخْشَى عَلَيْهَا أَحْدَاثَ الزَّمَنِ وَخُطُوبَهُ (نَوَائِبَهُ
وَمَصَائِبَهُ) .

٤ - بَعْدَ أُسْبُوعَيْنِ

وَمَرَّ عَلَى هَذَا الْحَادِثِ أُسْبُوعَانِ كَامِلَانِ ، فَدَبَّتِ الْخُضْرَةُ فِي
الشَّجَرَاتِ الَّتِي تَكْتَنِفُ جُجْرَ الْأَبَارِصِ (تُحِيطُ بِهِ) . وَاجْتَمَعَتْ
الْحَشَرَاتُ أُسْرَابًا (جَمَاعَاتٍ) ؛ فَفَعَّصَ بِهَا (ضَاقَ) الْفُضَاءُ عَلَى

رُحْبِهِ ، وَاَمْتَلَأَ الْجَوُّ بَطْنَيْنِهَا وَأَهَارِجَهَا (أَغَانِيهَا) الْمَرِحَةَ . وَلَكِنْ
« أَبَا بَرَيْصٍ » كَانَ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ - عَنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ الْبَهِيحِ -
بِالتَّفَكُّيرِ فِي مَصِيرِ صَاحِبَتِهِ : « دَابَّةُ النَّهْرِ » . فَقَدْ شَغَلَهُ الْأَلَمُ لِفِرَاقِ
تِلْكَ الضَّفْدِعةِ الصَّغِيرَةِ الْخَضْرَاءِ وَأَدْخَلَ فِي رُوعِهِ (قَلْبِهِ) أَنَّهَا
لَقِيَتْ حَتْفَهَا (هَلَكَهَا) .

هـ - فرحة اللقاء

وإِنَّهُ لَعَارِقٌ فِي تَأَمُّلِهِ - ذَاتَ يَوْمٍ - إِذْ رَأَى نَمْلَةً تَسْقُطُ فِي
الْمَاءِ . وَاسْتَرْعَى بَصَرَهُ . مَارَاهُ عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ مِنْ فَقَائِعِ الْهَوَاءِ
الْمُتَصَاعِدَةِ إِلَيْهِ . وَلَمْ يَكْذُ يُنْعِمُ النَّظَرَ (يُدَقِّقُهُ) فِي مَصِيرِ تِلْكَ
النَّمْلَةِ التَّائِسَةِ ، حَتَّى رَأَى فَمَا عَرِضًا يَظْهَرُ عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ . فَصَاحَ
« أَبُو بَرَيْصٍ » ، وَقَدْ فَاضَ قَلْبُهُ سُرُورًا :

« يَا لِلسَّعَادَةِ ! لَقَدْ ظَفَرْتُ بِصَدِيقَتِي الْعَزِيزَةِ : « دَابَّةُ النَّهْرِ » ،
وَقَدْ عَرَفْتُ جِلْبَابَهَا الْأَخْضَرَ الَّذِي يَزْدَانُ (يَتَحَلَّى) بِتِلْكَ النُّقْطِ
السُّودِ . آه ... لَقَدْ ظَهَرَتْ عَيْنَاهَا الْكَبِيرَتَانِ ، وَظَهَرَتْ تِلْكَ الدَّائِرَةُ

الذهبية التي تحيط بهما... إلى يا «دابة النهر» ! تعالى، أيتها الحبيبة...
عجيب... إنها لا تجيب ! فلأرفع صوتي لعلها تسمعي...
عمى صباحا يا «دابة النهر»، وليكن تهارك طيبا !

٦ - «أم هبيزة»

فسمع «أبو برنيس» صوتا أجش (غليظا) ، هو نقيق صاحبه .
وقد أجابه في بحة (غلظ وخشونة) طالما ألفت سماعها منها .



« من ذا الذي يناديني ؟ »

فقال لها وقد اشتد فرحه : « هلم يا «دابة النهر» ! إلى يا «أم هبيزة» !
فأنا صديقك القديم «أبو برنيس» الصغير الرمادي اللون . »

فَأَجَابَتْهُ « دَابَّةُ النَّهْرِ » :

« آم ... أَأَنْتَ صَاحِبِي الْعَزِيزُ : « أَبُو بُرَيْصٍ » ؟ مَتَذَرَّةٌ يَا صَدِيقِي ؛
فَلِأَنِّي لَمْ أَسْتَطِيعَ رُؤْيَاكَ - أَوَّلَ وَهْلَةٍ (أَوَّلَ شَيْءٍ أَرَاهُ) - لِأَنَّنِي
لَا أَرَالُ عَاجِزَةً عَنِ التَّحْدِيقِ فِي الضَّوِّءِ ؛ وَقَدْ بَهَرَنِي نُورُ النَّهَارِ ،
بَعْدَ أَنْ طَالَ مُسْكَنِي فِي ظَلَامِ الْقَاعِ .

وَالآنَ أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى لِقَائِكَ ؛ فَقَدْ طَالَ شَوْقِي إِلَيْكَ .
فَخَبِّرْنِي : كَيْفَ قَضَيْتَ فَضْلَ الشِّتَاءِ ، يَا أَبَا بُرَيْصٍ ؟
فَقَالَ لَهَا :

« لَقَدْ قَضَيْتُهُ نَائِمًا مَعَ رِفَاقِي .
فَكَيْفَ قَضَيْتُهُ أَنْتِ ، يَا أُمَّ هُبَيْرَةَ ؟
فَقَالَتْ لَهُ :

« لَمْ يُصِبنِي مَكْرُوهٌ ؛ فَقَدْ غَمَسْتُ رَأْسِي فِي الطَّيْنِ - كَمَا فَعَلَ
رِفَاقِي فِي الْخَرِيفِ الْمَاضِي - وَأَغْمَضْتُ عَيْنَيَّ . ثُمَّ ... ثُمَّ مَاذَا حَصَلَ ؟
هَذَا مَا لَا أَذْكُرُهُ . لَقَدْ نَسِيتُ كُلَّ مَا حَدَّثَ لِي بَعْدَ ذَلِكَ .
لَمَّا لَأَجْسَامَنَا قَدْ جَمَدَتْ - حِينَ اشْتَدَّتْ وَطْأَةُ الْبَرْدِ - وَأَصْبَحَتْ

كَالْأَخْبَارِ الصُّلْبَةِ ؛ فَقَدْ طَالَمَا سَمِعْتُ مِنْ جَدَّائِي أَنَّ ذَلِكَ يَحْدُثُ لَنَا
فِي كُلِّ شِتَاءٍ . »

٧ - التَّوْبُ الْجَدِيدُ

قَالَ لَهَا « أَبُو بُرَيْصٍ » ، وَقَدْ دَانَاهَا (اقْتَرَبَ مِنْهَا) ، وَوَقَفَ
أَمَامَهَا مَرْهُوًّا فَخُورًا :

« أُنِمِّي النَّظَرَ فِي شَكْلِي ، لَمَّا كُنْهِفِينَ عَمَّا جَدَّ مِنْ أَنْبَائِي
(أَخْبَارِي) . أُعِيدِي فِي نَظَرَةٍ فَاحِصٍ مُدَقِّقٍ . أَجِلي بَصَرَكَ .
أَلَا تَرَيْنَ شَيْئًا جَدِيدًا ؟ »

فَقَالَتْ لَهُ « دَابَّةُ النَّهْرِ » :

« كَلَّا ... لَا أَرَى شَيْئًا جَدِيدًا ، يَا صَاحِ ! »

قَالَ « أَبُو بُرَيْصٍ » :

« أَلَا تَرَيْنَ التَّوْبَ الَّذِي أَلْبَسُهُ فِي هَذَا الْعَامِ ؟ أَلَا تُبْصِرِينَ

جَدَّتَهُ ؟ »

فَقَالَتْ لَهُ :

« يَا لِّلْمَجَّبِ ! أَأَنْتَ لَبِستَ ثَوْبًا جَدِيدًا ؟ »

فَقَالَ « أَبُو بَرِيصٍ » :

« نَعَمْ ، يَا صَدِيقِي الْعَزِيزَةَ . فَقَدْ رَأَيْتُ ثَوْبِي الْقَدِيمَ يَخْلُقُ وَيَرِثُ ، وَلَمْ تَفْتَرِقْ - قُبِيلَ انْتِهَاءِ الْفَصْلِ الْمَاضِي - حَتَّى بَلَى ذَلِكَ الثَّوْبُ ، وَبَدَتْ فِيهِ شُقُوقٌ كَثِيرَةٌ . فَضَجَرْتُ بِهِ (صَافَتْ نَفْسِي مِنْهُ وَكَرِهَتْهُ) ، وَأَصْطَرِطُ إِلَى تَرْكِهِ ؛ فَحَكَّكْتُ جَسَدِي بِحَجَرٍ شَدِيدٍ صَلْدٍ ؛ فَهَرَأَ الرِّدَاءُ الْخَلْقُ (تَقَطَّعَ الثَّوْبُ الْبَالِي) وَتَمَزَّقَ ، وَاسْتَبَدَّلْتُ بِهِ - حِينَئِذٍ - ثَوْبِي الْجَدِيدَ الَّذِي تَرَيْنَهُ الْآنَ . وَقَدْ ارْتَدَّتْهُ طُولَ فَصْلِ الشَّتَاءِ . »

٨ - « أَبُو سَلَمَى »

فَقَالَتْ « دَابَّةُ النَّهْرِ » :

« تَقَبَّلْ - يَا « أَبُو بَرِيصٍ » - تَهْنِئَتِي بِهَذَا الثَّوْبِ الْأَنِيْقِ الَّذِي ارْتَدَّتْهُ . وَلَكِنْ... خَبِّرْنِي ، يَا صَاحِبَ : كَيْفَ حَالُ عَشِيرَتِكَ وَأَهْلِكَ ؛ فَقَدْ شَغَلَنِي حَدِيثُكَ الْمُتِمُّعُ عَنْ سُؤَالِكَ عَنْ أَنْبَاءِ أُسْرَتِكَ ؟ كَيْفَ تَجِدُ أَبَاكَ وَإِخْوَتَكَ وَأَخَوَاتِكَ ؟ »

فَقَالَ لَهَا :

« كُلُّهُمْ بِخَيْرٍ ، مَا عَدَا أَخِي الْمَسْكِينَ : « أَبَا سَلَمَى » التَّائِسَ .

الْحَزِينَ ١ »

فَقَالَتْ : « دَابَّةُ النَّهْرِ » :

« وَكَيْفَ تَكُنُّ عَنِّي هَذَا النَّبَأُ الْخَطِيرُ ؟ كَيْفَ يَمْرُضُ أَخُوكَ

فَلَا تُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَرِيضٌ ؟ »

فَقَالَ « أَبُو بَرْنِصَ » :

« صَدَقَ - بَاعِزَتِي - فَقَدْ نَسِيتُ أَنْ أُخْبِرَكَ أَنْ « أَبَا سَلَمَى »

يُعَانِي أَلَمًا مُبَرِّحًا (مُتَعَبًا مُؤْذِيًا) ، مُنْذُ وَقَعَ لَهُ ذَلِكَ الْحَادِثُ الْجَلَلُ

(الْعَظِيمُ) . وَلِكُلِّ مَخْلُوقٍ حَظُّهُ مِنَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاءِ جَمِيعًا . »

٩ - قَاذِفُ الْحَصَى

فَقَالَتْ : « دَابَّةُ النَّهْرِ » ، وَقَدْ تَمَلَّكَهَا الدُّعْرُ (الْخَوْفُ) :

« تَرَى : أَيْ حَدِثٍ مِنْ أَحْدَاثِ الدَّهْرِ قَدْ أَلَمَ بِهِ « أَبِي سَلَمَى » الظَّرِيفُ

الطَّيِّبُ الْقَلْبُ ؟ »

فَقَالَ « أَبُو بَرْنِصَ » :

« لَقَدْ أَلَمَ بِهِ حَادِثُ خَطِيرٍ فِي الْخَرِيفِ الْمَاضِي . . . أَلَا تَذَكَّرِينَ
 يَا « أُمَّ هُبَيْرَةَ » — ذَلِكَ الْوَلَدُ الَّذِي كَانَ يَمُرُّ بِدَارِنَا كُلِّ يَوْمٍ ؟ »
 فَقَالَتْ لَهُ :

« أَتَمْنَى ذَلِكَ الْفَتَى الصَّغِيرَ الَّذِي يُنَادِيهِ رِفَاقُهُ بِاسْمِ « كَالِ » ،
 وَيُلَقَّبُونَهُ (يُنَادُونَهُ) بِلقَبِ « طَارِقِ » ؟
 إِنْ كُنْتَ تَعْنِيهِ ، فَإِنِّي أَذْكُرُهُ . فَقَدْ طَالَمَا صَفَّرَ وَغَنَّى — بِالْقُرْبِ
 مِنَّا — صَفِيرًا مُسْتَعَذِبًا ، وَغِنَاءَ مُطْرَبًا . »

فَقَالَ « أَبُو بُرَيْصٍ » :

« هُوَ بَعِينُهُ يَا « أُمَّ هُبَيْرَةَ » . وَهُوَ طِفْلٌ ظَرِيفٌ ، لَا عَيْبَ فِيهِ
 إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَلْهُو — أحيانًا — بِقَذْفِ الْأَحْجَارِ . وَمَا أَظُنُّهُ يَقْصِدُ
 بِذَلِكَ إِلَى الْإِضْرَارِ بِكَائِنٍ كَانَ ؛ فَهُوَ — فِيمَا أَعْلَمُ — طَيِّبُ الْقَلْبِ .
 وَلَكِنْ : آمٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الصَّبِيِّينَ ! وَوَاهٍ مِنْ ذَلِكَ الْحَصَى الَّذِي
 يَقْدِفُونَنَا بِهِ يَمْنَةً وَيَسْرَةً ، دُونَ أَنْ يَعْرِفُوا مَدَى مَا يُلْحِقُونَهُ بِنَا
 — مَعْشَرَ الْحَشَرَاتِ وَالذُّوَابِ — مِنْ أَذَى ! »

١٠ - قِصَّةُ مُخْرِئَةِ

فَقَالَتْ « دَابَّةُ النَّهْرِ » : « خَبِّرْنِي : مَاذَا حَدَّثَ لِأَخِيكَ ؟ »
فَقَالَ « أَبُو بَرَيْصٍ » :

« لَقَدْ كَانَ « أَبُو سَلْمَى » جَائِعًا (قَاعِدًا) - فِي هَذَا الْمَكَانِ -
فِي النَّخْرِفِ الْمَاضِي، يَتَلَمَّسُ الدَّفْءَ فِي حَرَارَةِ الشَّمْسِ . وَإِنَّهُ لَنَارِقُ
فِي أَحْلَامِهِ اللَّذِيزَةِ ، إِذْ رَمَاهُ « كَالٌ » بِحَجَرٍ صَغِيرٍ كَانَ يَلْهُو بِهِ .
فَصَاحَ « أَبُو سَلْمَى » مُتَوَجِّعًا مِمَّا أَصَابَهُ . فَأَسْرَعَتْ إِلَى نَجْدَةِ شَقِيقِ ،
فَرَأَتْهُ يُثْقَلُ عَلَى الْأَرْضِ - ظَهْرًا لِبَطْنٍ - وَيَتَوَجَّعُ مِنْ شِدَّةِ
الْأَلَمِ . وَاجْتَمَعَتْ أُسْرَتُنَا حَوْلَهُ تَوَسِّيهً ، وَتُسْرَى عَنْهُ ، وَهُوَ يَبْكِي
وَيَسْهَقُ - وَمَا أَجْدَرَهُ بِذَلِكَ - فَقَدْ كَادَ الْحَجَرُ يَقْتُلَهُ .

مَثَلِي لِنَفْسِكَ (تَصَوَّرِي) مَقْدَارَ مَا يُعَانِيهِ « أَبُو سَلْمَى » ، بَعْدَ أَنْ
قَطَعَ الْحَجَرُ ذَنْبَهُ ، وَكَادَ يُودِي بِهِ (يُهْلِكُهُ) ، وَيَقْضَى عَلَى حَيَاتِهِ !
فَقَالَتْ « دَابَّةُ النَّهْرِ » :

« يَا لَشَقَائِكَ ، يَا « أَبَا سَلْمَى » ! أَغَزَزْتُ عَلَى مَا كَابَدْتَ مِنْ أَلَمٍ !

ما أَشدَّ حُزَنِي لِمُصَابِكَ !

فَقَالَ « أَبُو بُرَيْصٍ » :

« لَقَدْ ظَلَّ يُمَانِي الْأَلَامَ زَمَنًا طَوِيلًا ، وَكَانَ أَبَوَايَ يَجِئَانِيهِ بِالطَّعَامِ لِعَجْزِهِ عَنِ الْحَرَكَةِ . وَمَا زَالَ إِلَى الْيَوْمِ مَحْزُونًا ، شَارِدَ الْفِكْرِ . وَقَدْ آثَرَ الْعُزْلَةَ وَالْوَحْدَةَ ، فَمَا يَكَادُ يَبْرَحُ (قَلَّمَا يَتْرُكُ) رُكْنَ الْحَائِطِ . »

فَقَالَتْ « دَابَّةُ النَّهْرِ » ، فِي لَهْجَةِ الْمُشْفَقَةِ الْحَائِيَةِ :

« لَا بُدَّ لِي أَنْ أَعُودَهُ (أَزُورَهُ) فِي بَيْتِهِ ، وَمَعِيَ هَدِيَّةٌ فَاخِرَةٌ . لَقَدْ اعْتَزَمْتُ أَنْ أَهْدِيَ إِلَيْهِ أَوَّلَ عَنَكَبٍ أَوْ عَنَكَبَةٍ أَصْطَادُ ؛ لَعَلَّهُ يَرَى فِي هَذَا الطَّعَامِ شَيْئًا مِنَ السَّلْوَى (النَّسْيَانِ) وَالْعَزَاءِ (الصَّبْرِ) . »

الفصل الثالث

١ - «أبو مَعْبُدٍ»

مَالَتِ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ ، وَالصَّدِيقَانِ لَا يَزَالَانِ يَتَحَدَّثَانِ أَحَادِيثَ شَتَّى. وَإِنَّمَا لَكَذَلِكَ إِذْ أَلْتَفَتَ «أَبُو بُرَيْصٍ» فَجَأَةً إِلَى صَاحِبَتِهِ ، وَقَالَ :
 « هَذَا ابْنُ عَمِّكَ قَادِمًا عَلَيْنَا ، يَا «أُمُّ هُبَيْرَةَ» . وَهُوَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ التُّبُحِّجِ وَالذَّمَامَةِ ، وَقَدْ نَسِيتُ اسْمَهُ ؛ فَهَلْ تَذْكُرِيهِ لِي مُتَفَضِّلَةً ؟ »

فَالْتَفَتَتْ «دَابَّةُ النَّهْرِ» إِلَى الْقَادِمِ ، وَحَيَّتْهُ قَائِلَةً :
 « عِمَّ مَسَاءٍ يَا ابْنَ عَمِّي «النَّقَّاقُ» ، وَلَيْطِبَ لَيْلُكَ ! كَيْفَ تَجِدُكَ يَا أَبَا مَعْبُدٍ ؟ »

فَقَالَ لَهَا «النَّقَّاقُ» :

« بَخِيرٍ — يَا ابْنَةَ الْمَمِّ — مَا دُمْتَ أَنْتِ بَخِيرٍ . »

فَالْتَفَتَتْ «دَابَّةُ النَّهْرِ» قَائِلَةً :

« مَالِي أَرَاكَ تَسْرِعُ فِي خُطَاكَ ، يَا «أَبَا مَعْبُدٍ» ؟ أَلَا تَسْتَرِيعُ مَعَنَا

قَلِيلًا ؛ لَتَشْرَكَنَا فِي أَسْمَارِنَا وَأَحَادِيثِنَا الْمُعْجِبَةِ ، وَتَتَعَرَّفَ بِصَدِيقِ الْعَزِيزِ
« أَبِي بُرَيْصٍ » ؛ فَهَوَّ يُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ وَيَأْنَسَ بِكَ ؟ »



فَقَالَ لَهَا « النَّقَاقُ » :

« مَعَذِرَةٌ — يَا ابْنَةَ الْعَمِّ — فَلَسْتُ أُسْتَطِيعُ الْبَقَاءَ مَعَكُمْ ؛ لِأَنِّي
فِي حَاجَةٍ إِلَى زِيَارَةِ حَدِيقَةِ الْكُرْنُبِ ، قَبْلَ أَنْ يَضِيعَ الْوَقْتُ . فَوَدَاعًا ! »

٢ — ابْنُ الْعَمِّ

فَقَالَ « أَبُو بُرَيْصٍ » :

« إِنَّ ابْنَ عَمِّكَ « النَّقَاقُ » يَجْمَعُ إِلَى دَمَامَةِ الْمَنْظَرِ (قُبْحِ

الهيئة) فَلَ الذَّوقِ . فهل أَنْتِ واثقةٌ أَنَّهُ ابْنُ عَمِّكَ حَقًّا ؟ »

فَقَالَتْ : « دَابَّةُ النِّهْرِ » :

« لَيْسَ فِي هَذَا أَقْلُ شَكٍّ . وَلَوْ أَنْعَمْتَ النَّظَرَ ، لَرَأَيْنَا مُتَشَابِهَيْنِ

فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ ، وَإِنْ كَانَ مَوْطِنُهُ الْبَرُّ ، وَمَوْطِنِي الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مَعًا

عَلَى أَنَّ لَهُ مِثْلِي ... »

فَقَاطَمَهَا « أَبُو بَرَيْصٍ » :

« كَيْفَ يَكُونُ « النَّقَاقُ » ابْنُ عَمِّكَ ، وَهُوَ بَطِيءُ الْخُطَى ، يَشَى

مُتَنَاقِلًا ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْقَفْزِ كَمَا تَقْفِزِينَ ؟ وَكَيْفَ تَزْعُمِينَ أَنَّهُ يُشَبِّهُكَ ،

وَأَنْتِ جَمِيلَةُ الْمَنْظَرِ ، حَسَنَةُ التَّكْوِينِ ، رَقِيقَةُ الْجِلْدِ ، لَمَاعَةُ الْبَشَرَةِ ؟

عَلَى حِينٍ أَرَى جِسْمَ « النَّقَاقِ » مُشَوَّهًا ، تُنْفِطِهُ بُثُورُ (خُرَاجَاتُ

صَغِيرَةٍ وَدَّمَامِيلُ) كَرِيمَةٍ بُشْعَةٌ ؟ »

٣ - فَضْلُ « النَّقَاقِ »

فَقَالَتْ لَهُ :

« لَسْتُ أَنْكِرُ عَلَيْكَ أَنَّهُ يَبْدُو - لِمَنْ يَرَاهُ - قَبِيحَ الْمَنْظَرِ

دَمِيمَ الْخِلْقَةِ . وَلَكِنْ : أَيُّ ذَنْبٍ لَهُ فِي ذَلِكَ ؟ أَتَرَاهُ كَانَ قَادِرًا عَلَى تَجْمِيلِ صُورَتِهِ فَلَمْ يَفْعَلْ ؟ كَلَّا - يا « أبا بُرَيْصٍ » - فَإِنَّ مِنْ كَمَالِ عَقْلِكَ وَأَصَالَةِ رَأْيِكَ أَلَّا تَغْتَرَّ بِالظَّوَاهِرِ ؛ فَهِيَ لَا تَدُلُّ عَلَى حَقِيقَةِ النَفْسِ الْمُحَجَّبَةِ عَنَّا (الْمَسْتُورَةِ الْمُخْبَأَةِ) . إِنَّ « النَّقَاقَ » - لَوْ عَلِمْتَ - مِنْ رِكَامِ الضَّفَادِعِ ، وَهُوَ طَيِّبُ الْقَلْبِ مَحْمُودُ الْأَثَرِ . وَمَا أَجْدَرَ النَّاسَ أَنْ يُحِبُّوه ؛ لِأَنَّ حَيَاتَهُ وَقَفَ عَلَى مُحَارَبَةِ الْحَشَرَاتِ الضَّارَّةِ الَّتِي تُتْلِفُ الْحَرثَ (الزَّرْعَ) ، وَتُفْسِدُ الْبُقُولَ وَالْخُضَرَ . وَلَكِنَّ النَّاسَ - لِسُوءِ حَظِّهِ - لَا يُنْصِفُونَهُ ، وَلَا يَقْدُرُونَ هَذَا الصَّنِيعَ (لَا يَشْكُرُونَ لَهُ هَذَا الْجَمِيلَ) . فَكَيْفَ لَا أُحِبُّ هَذَا التَّائِسَ الْمَظْلُومَ ؟

فَقَالَ « أَبُو بُرَيْصٍ » : « لَقَدْ حَبَّبْتُهُ إِلَى نَفْسِي تِلْكَ الْمَآثِرُ (الْمَفَاخِرُ) الَّتِي قَصَصْتَهَا عَلَيَّ . فَمَا أَكْرَمَهُ دَابَّةً ! وَمَا أَبْرَهُ مُصْلِحًا ! » ثُمَّ اسْتَأْنَفَ « أَبُو بُرَيْصٍ » قَائِلًا :

« لَقَدْ جَنَّ اللَّيْلُ (أَظْلَمَ) ، وَلَا بُدَّ لِي مِنَ الْعُودَةِ إِلَى دَارِي . وَأَنَا عَلَى ثِقَةٍ أَنَّ أُسْرَتِي سَتَلْقَانِي غَاضِبَةً ؛ لِأَنِّي تَأَخَّرْتُ - فِي هَذَا

اليوم - عن المودّة حتّى هذِهِ السّاعَةِ . فَوَدَاعًا، أَيَّتِهَا الرّويّة الغزيرة !
فَقَالَتْ لَهُ : « إِلَى الْإِلْقَاءِ الْقَرِيبِ ، يَا أَبَا بُرَيْصٍ . »

٤ - الْمَطَرُ

وكان « أبو بُرَيْصٍ » يَنَامُ عَلَى صَوْتِ الضَّفَدَعِ - كُلِّ لَيْلَةٍ -
وَيُطْرَبُ لِأَنَاشِيدِهَا الْجَمِيلَةِ ، وَتَقِيْقِهَا الّذِي طَالَمَا أَلِفَ الاسْتِمَاعَ إِلَيْهِ .
وبعد أسابيعٍ عِدَّةٍ ، أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ - فَجَاءَةً - فِي وَقْتِ الصَّبَاحِ ،
ثُمَّ هَطَلَتْ (تَتَابَعَ مَطَرُهَا) ، وَانْهَمَرَ الْمَطَرُ (سَالَ غَزِيرًا كَثِيرًا) .
حَتَّى إِذَا كَادَ النَّهَارُ يَنْتَصِفُ ، بَدَدَتْ أَضْوَاءُ الشَّمْسِ مَا تَرَكَتْ مِنْ
السُّحُبِ الْكَثِيفَةِ . وَكَانَ « أَبُو بُرَيْصٍ » - فِي أَثْنَاءِ هُطُولِ
الْأَمْطَارِ - مُلَازِمًا جُجْرَهَ فِي نَفَرٍ (جَمَاعَةٍ) مِنْ أُسْرَتِهِ ، وَهُمْ :
« بُرَيْصٌ » وَ « أَبْرَصٌ » وَ « سَامُ أَبْرَصَ » ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأَبْرَصِ .

الفصل الرابع

١ - حديثُ الصّديقين

فَلَمَّا تَشَعَّتِ السُّحُبُ وَانْجَلَتْ النُّيُومُ عَنِ السَّمَاءِ ، زَالَ عَنْهُ مَا أَلَمَ بِهِ
مِنَ الضَّجَرِ لِطُولِ احْتِيَاسِهِ ، وَهَمَّ بِالْخُرُوجِ مِنْ جُجْرِهِ ؛ فَرَأَى أَمَامَهُ
صَاحِبَتَهُ « أُمَّ هُبَيْرَةَ » ، فَقَالَ لَهَا :

« آه ... لَقَدْ كُنْتُ أَفْكُرُ فِي لِقَائِكَ الْآنَ . وَإِنَّمَا مَنَعَنِي مِنَ
النَّهَابِ إِلَيْكَ : مَا كَابَدْتُهُ - فِي هَذَا الصَّبَاحِ - مِنَ الضَّجَرِ وَالْأَلَمِ ؛
فَقَدْ نَزَلَ الْمَطَرُ مِذْرَارًا ، فَلَمْ أَسْتَطِعِ الْخُرُوجَ مِنْ جُجْرِي
آه ! مَا كَانَ أَسْمَجَهُ صَبَاحًا ! »

فَقَالَتْ « دَابَّةُ النَّهْرِ » :

« شَدَّ مَا أَخْطَأْتَ فِي حُسْكِكَ - يَا « أَبَا بُرَيْصٍ » - فَقَدْ كَانَ أَجْمَلَ
صَبَاحٍ عِنْدَنَا - مَعَشَرَ الضَّفَادِعِ - وَلَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيَّ بِهَذَا الْمَطَرِ
- لِحُسْنِ حَقْلِي - وَأَنَا أَخْوَجُ مَا أَكُونُ إِلَيْهِ . »

وما أذرى : كيف كنتُ أصنعُ لو ظَلَّتْ حرارةُ الشمسِ مُرتفعةً ، كما كانت في الأيامِ السابقة ؟ »

٢ - القُرُ

ثُمَّ اسْتَأْنَفْتُ « دَابَّةُ النَّهْرِ » قَائِلَةً :
 « وَلَكِنَّ اللَّهَ — سُبْحَانَهُ — قَدْ أَغَاثَنِي بِهَذَا الْمَطَرِ ، وَأَنْقَذَ الْقُرُ
 — أَعْنَى : بُوَيْضَاتِي — مِنَ التَّلَفِ . »
 فَقَالَ « أَبُو بُرَيْصٍ » :
 « بُوَيْضَاتِكَ ؟ مَتَى كَانَ ذَلِكَ ؟ كَيْفَ لَمْ تُخْبِرْنِي ؟
 يَا لَكَ مِنْ صَدِيقَةٍ عَجِيبَةٍ ! أَعَنْ مِثْلِي تُخْفِينَ هَذَا السِّرَّ ؟ »
 فَقَالَتْ لَهُ :

« كَلَّا ... لَمْ أُخْفِ سِرِّي عَنْكَ . هَاهِيَ ذِي بُوَيْضَاتِي فِي قَاعِ
 الْبِرْكََةِ الصَّغِيرَةِ . أَنْظُرْ هَذِهِ الصُّرَّةَ الصَّفْرَاءَ وَمَا فِيهَا مِنْ نُقْطٍ سَوْدٍ
 صَغِيرَةٍ . أَجَلٌ فِيهَا بِصَرِّكَ ، وَأَدِرْ نَظْرَكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ نُقْطَةٍ — مِنْ
 هَذِهِ النُّقْطِ — هِيَ بُوَيْضَةٌ مِنْ بُوَيْضَاتِي الَّتِي حَدَّثْتُكَ بِهَا الْآنَ . »

فَقَالَ « أَبُو بَرَيْصٍ » :

« وَمَا بِالْكَ تُلْقِينَ بِهَا فِي الْمَاءِ ، أَيُّهَا النَّاعِسَةُ ؟ إِنَّكَ — إِذْ تَفْعَلِينَ ذَلِكَ — تُعَرِّضِينَهَا لِلتَّلَفِ ! »

فَقَالَتْ « دَابَّةُ النَّهْرِ » مُتَأَلِّمَةً مُتَمَلِّمَةً :

« لَمْ أَخْتَرِعْ ذَلِكَ اخْتِرَاعًا ، وَلَسْتُ فِيهِ بِدْعًا (لَسْتُ أَوَّلَ مَنْ قَعَلَ هَذَا) . وَلَمْ يَدُزْ بِخَلْدِي (لَمْ يَمُرَّ بِخَاطِرِي) أَنْتَى أَعْرَضُ ذَرَارِيَّ — وَهِيَ قِطْعٌ مِنِّي — لِلْخَطَرِ حِينَ أَتَى بِهَا فِي الْمَاءِ ... فَإِنِّي رَأَيْتُ الضَّفَادِعَ — كُلَّهَا — لَا تَبْيِضُ إِلَّا فِي الْمَاءِ ... وَقَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ فِعْلِهَا ، وَلَمْ أَشِدَّ عَنْ هَذَا الْمَرْفِ الشَّائِعِ بَيْنَ « بَنَاتِ نَقِ نَقِ » جَمِيعًا . »

٣ — بَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ

وَمَرَّ عَلَى هَذَا الْحِوَارِ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ ذَهَبَ « أَبُو بَرَيْصٍ » إِلَى صَدِيقَتِهِ « دَابَّةِ النَّهْرِ » لِيُزَوِّرَهَا ؛ فَأَلْفَاها جَائِمَةً فِي الْمَاءِ — بِلا حَرَكَ — وَقَدَرِ امْتَدَّتْ يَدَاهَا إِلَى خَلْفِهَا ، وَظَهَرَتْ عَلَى سِيَاهَا (هَيْئَتِهَا) أَمَارَاتِ

الفرح والغبطة . ولما رأت صديقها صاحت مُتهللةً فرحةً :

« هَلُمَّ ، يا «أبا بُرَيْصٍ» .

تعالَ فانظرُ صِغاريَ خارجاتٍ

منَ البَيْضِ الذي رَأَيْتَهُ مُنْذُ

أيامٍ . آه ! يا لَسَمادِقي

وهنأى ! »

فقالَ «أبو بُرَيْصٍ» :

« كَيْفَ تَزْعُمِينَ أَنَّ هَذِهِ

الدَّوَابُّ الغَرِيبَةُ الشَّكْلُ هِيَ

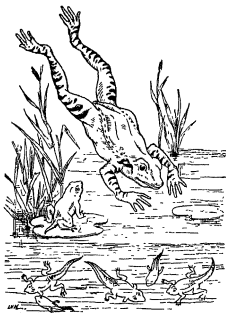
صِغَارُكَ ؟ كَلَّا يا عَزِيزَتِي !

كَلَّا . ما أَنْتِ بِمُصَدِّقَةٍ ! ذَلِكَ مُحَالٌ ، يا دَابَّةَ النِّهْرِ . »

فَقَالَتْ لَهُ مُرْتَاعَةٌ (خَائِفَةٌ) :

« لَسْتُ أَشْكُ فِي أَنَّهُمْ أَوْلَادِي ... أَلَا تَرَى هَذِهِ الصِّغَارَ خَارِجَةً

منَ بُونِيضَاتِي ؟ أَلَا تَرَى جَمَالَ مَنْظَرِهَا ، وَحُسْنَ شَكْلِهَا ؟ »



٤ - ذواتُ الأذنانِ

فقال لها « أبو بُرَيْصِ » وهو يَهْتَزُّ ضاحكًا :
 « أَيُّ جَمَالٍ تَرَيْنَهُ فِي هَذِهِ الرُّعُوسِ الضَّخْمَةِ ؟ لَمَّا تَمَرَحِينَ !
 مَا أَظْنُكَ جَادَّةً فِي قَوْلِكَ ، أَيُّهَا الصَّدِيقَةُ العَزِيزَةُ ؟
 أَلَا تَنْظُرِينَ إِلَى أَذْنَابِهَا ؟ فَكَيْفَ تَجْلِسُ هَذِهِ الْأَوْلَادُ عَلَى الْحَشَائِشِ
 كَمَا تَجْلِسِينَ ؟ وَمَتَى كَانَ لِلضَّفَادِعِ أَذْنَابٌ ، أَيُّهَا العَزِيزَةُ الْبَلَاءُ ؟
 فَاسْتَدَّتْ حَيْرَتَهَا ، وَلَمْ تَعْرِفْ كَيْفَ تُجِيبُ صَاحِبَهَا . وَسَاوَرَهَا
 الرَّيْبُ (أَسْرَعَ إِلَيْهَا الشُّكُّ) ؛ فَلَمْ تَجْزِمْ بِشَيْءٍ . وَإِنَّمَا اسْتَوَلَى عَلَيْهَا
 الْحُزْنُ ؛ لِأَنَّهَا رَأَتْ تِلْكَ الدَّوَابَّ الرَّمَادِيَّةَ اللَّوْنِ لَيْسَ لَهَا أَيْدٍ تَسْبِغُ
 (تَمُومُ) بِهَا فِي الْمَاءِ ، وَعَجِبَتْ مِنْ أَذْنَابِهَا عَجَبًا شَدِيدًا .

٥ - آكلُ الثَّباتِ

وَحَانَتْ مِنْ « أَبِي بُرَيْصِ » التِّفَافَةُ ، فَصَاحَ مَدْمُوشًا :
 « انْظُرِي - يَا صَدِيقَتِي - هَالِكِ مَوْلُودًا يَأْكُلُ مِنَ الثَّباتِ الَّذِي

في قاع الماء ، فَخَبَّرَنِي بِرَبِّكَ : هلْ رَأَيْتِ - طُولَ عُمْرِكَ - صِفْدَعًا
يَأْكُلُ الثِّبَاتَ ؟ »

فَقَالَتْ « دَابَّةُ النَّهْرِ » وَقَدْ كَادَ الْبُكَاءُ يَمْقِدُ لِسَانَهَا :
« مَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرِ ، فَإِنِّي عَلَى يَقِينٍ أَنَّ هَذِهِ الدَّوَابُّ قَدْ خَرَجَتْ
مِنْ بُونِضَاتِي ! »

فَقَالَ « أَبُو بَرِيصٍ » :
« هِيَ يَا « دَابَّةُ النَّهْرِ » . لَقَدْ عَرَفْتُ حَقِيقَةَ أَمْرِ هَذِهِ الدَّوَابِّ
الصَّمِيرَةِ ، وَقَدْ أَقْبَلْتُ الْآنَ أَنَهَا : سَمَكٌ . »
فَوَدَّعَتْهُ « دَابَّةُ النَّهْرِ » ، وَقَالَتْ وَهِيَ مَحْزُونَةٌ مُتَأَلِّمَةٌ :
« لَقَدْ جَهِلْتُ - مَعَ حِرْصِي عَلَى الْمَعْرِفَةِ - فَا أَدْرِى شَيْئًا ! »

٦ - أُمْنِيَّةٌ تَحَقُّقُ

وفي يومٍ من أيامِ « أُغْطُسَ » الْحَارَّةِ ، تَمَدَّدَتْ جَمَهْرَةٌ مِنْ
الْأَبَارِصِ عَلَى الْحَائِطِ ، وَاسْتَقْبَلَتْ أَشِعَّةَ الشَّمْسِ ، وَاسْتَنْسَلَتْ لِلدَّفْءِ
وَالرَّاحَةِ ، وَكَانَ مِنْ عَادَتِهَا أَنْ تَقْضِيَ وَقْتَ الْهَضْمِ فِي مِثْلِ هَذَا

المكان ، مُخْلِدةً (مُرْتَكِنَةً مُسْتَسْلِمَةً) إلى الرَّاحَةِ في تِلْكَ الْجِهَةِ
المُشْمِسَةِ الْحَبِيبَةِ إلى نُفُوسِهَا .

وإنَّهَا لَكَذَلِكَ ، إِذْ أَقْبَلَتْ عَلَيْهَا « دَابَّةُ النَّهْرِ » بَعْدَ أَنْ صَعِدَتْ
إِلَى سَطْحِ الْمَاءِ ، وَصَاحَتْ تُنَادِي « أَبَا بُرَيْصٍ » بِأَعْلَى صَوْتِهَا - وَقَدْ
اسْتَوَلَى عَلَيْهَا الْفَرَحُ - قَائِلَةً :

« إِلَيَّ ، يَا صَدِيقَ الْعَزِيزِ . هَلُمَّ لِأَزْفَ إِلَيْكَ بِشَرَى مِنَ الْبُشْرِيَّاتِ
السَّارَةِ الَّتِي تَمَلَأُ قَلْبَكَ غِبْطَةً وَتُسْكِنُ الْهَجَةَ خَلْدَكَ (تَقْسَكَ) ! »
فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا « أَبُو بُرَيْصٍ » مُسْتَفْسِرًا عَنْ جَلِيَّةِ الْخَبَرِ (حَقِيقَتِهِ) ؛
فَابْتَدَرَتْ (أَسْرَعَتْ) قَائِلَةً :

« لَقَدْ أَيْقَنْتُ - الْيَوْمَ - أَنَّ تِلْكَ الدَّوَابَّ الَّتِي شَكَّكْتَنِي فِي حَقِيقَتِهَا
- مُنْذُ أَيَّامٍ - لَيْسَتْ إِلَّا أَوْلَادِي .

وَقَدْ زَالَ اللَّبْسُ وَالشَّكُّ ، وَتَأَكَّدَ لِي ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ عَمَى حِينَ
رَأَاهَا . وَهَآنِذِي أَدْعُوكَ لَزِيَارَتِهَا ، وَلَيْسَ الْخَبَرُ كَالْعِيَانِ . »

٧ - « بَنَاتُ هُبَيْرَةَ »

فَسَارَ مَعَهَا « أَبُو بَرَيْصٍ » حَتَّى وَصَلَ إِلَى شَاطِئِ الْبِرْكََةِ ، فَرَأَى
مَا أَذْهَشَهُ وَحَيَّرَهُ . أَلَمْ تَرَوْا مَاذَا رَأَى ؟

لَقَدْ أَبْصَرَ « بَنَاتِ هُبَيْرَةَ » : تِلْكَ الدَّوَابُّ الرَّمَادِيَّةَ اللَّوْنِ ، قَدْ
نَبَتَتِ الْأَيْدِي فِي أَجْسَادِهَا ، وَقَصُرَتْ أَذْنَابُهَا . فَاشْتَدَّ عَجْبُهُ ، وَالتَفَتَ
إِلَى « دَابَّةِ النَّهْرِ » يَسْأَلُهَا الصَّفَحَ قَائِلًا :

« لَقَدْ أَخْطَأْتُ حِينَ شَكَّكَتُكَ فِي أَمْرِ هَذِهِ الدَّوَابِّ ؛ فَاسْمَحِي
لِي أَنْ أَزِفَ إِلَيْكَ تَهْنِئَتِي الْخَالِصَةَ بِأَطْفَالِكَ الصَّغِيرَاتِ . »
فَقَالَتْ « دَابَّةُ النَّهْرِ » مَزْهُوَّةً فَخُورَةً :

« أَشْكُرُ لَكَ إِخْلَاصَكَ وَوَلَاءَكَ . وَقَدْ حَمِدْتُ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ -
عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَفْجَعْنِي فِي أَمَلِي . وَقَدْ أَخْبَرَنِي عَمِّي - حِينَ سَأَلْتُهُ -
أَنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ الصَّغِيرَةِ - حِينَ تَنْتَهِي مِنْ فِتْرَةِ الطُّفُولَةِ - تَصْنَعُ
رُءُوسَهَا شَيْئًا فَشَيْنًا ، حَتَّى تَتَنَاسَبَ هِيَ وَأَجْسَادُهَا . ثُمَّ تُصْبِحُ
- بَعْدَ ذَلِكَ - ضَفَادِعَ تَامَّةَ التَّكْوِينِ مِثْلَنَا ، جَمِيلَةَ الشَّكْلِ ،
مُخَضَّرَةَ اللَّوْنِ ، حَسَنَةَ التَّقْسِيمِ وَالتَّقْوِيمِ . »

٨ - عاقبة الطَّيْشِ

مُمَّ سَمِعَ الصَّدِيقَانِ صَوْتًا ضَعِيفًا يُنَادِي وَيُمَوْتُ (يَسْتَعِيثُ) طَالِبًا النَّجْدَةَ. فَالتَفَتَا يَتَعَرَّفَانِ مَصْدَرَ الصَّوْتِ. وَمَا أَذَرَكَ جَلِيلَةَ الْأَمْرِ (حَقِيقَتَهُ)، حَتَّى هَالَهُمَا وَرَوَّعَهُمَا (خَوْفُهُمَا وَرِعْبُهُمَا) مَا حَدَّثَ. فَقَدْ رَأَى طِفْلًا مِنْ أَطْفَالِ «دَابَّةِ النَّهْرِ» اسْمُهُ: «الْمُلْجُومُ»، دَفَعَهُ الطَّيْشُ وَالْفُرُورُ إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْبَرْكَةِ إِلَى الشَّاطِئِ. وَلَمْ يَكْذِبْ فَعَلُ حَتَّى اشْتَبَكَ فِي الْحَشَائِشِ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْعَوْدَةِ مِنْ حَيْثُ أَتَى. وَارْتَمَى ذَلِكَ الطِّفْلُ عَلَى ظَهْرِهِ، وَسَرَتْ الرَّعْدَةُ وَالرَّعْشَةُ فِي جِسْمِهِ الصَّغِيرِ.

فَسَأَلَ «أَبُو بَرِيصٍ» صَدِيقَهُ مُتَمَجِّبًا: «مَاذَا أَصَابَ التَّاعِسَ الْمِسْكِينَ؟ لَقَدْ يُخَيَّلُ إِلَى رَأْيِهِ أَنَّهُ يَخْتَنِقُ وَيُوشِكُ أَنْ يَفْقِدَ الْحَيَاةَ.»

فَقَالَتْ «دَابَّةُ النَّهْرِ»: «صَدَقَتْ - يَا صَاحِبَ - فَقَدْ أَخْبَرَنِي عَنِّي أَنَّ أَطْفَالََنَا تَتَنَفَّسُ فِي الْمَاءِ كَمَا يَتَنَفَّسُ السَّمَكُ. وَلَقَدْ أَخْطَرَ هَذَا الطَّائِشُ نَفْسَهُ (أَدْخَلَهَا فِي الْخَطَرِ، وَعَرَّضَهَا لِلْهَلَاكِ) حِينَ خَرَجَ إِلَى الشَّاطِئِ. وَهَاهُوَ ذَا يَخْتَنِقُ - كَمَا تَرَى - فَكَيْفَ أَصْنَعُ؟»

ثُمَّ عَنَّتْ (عَرَضَتْ) لَهَا فِكْرَةُ مُوَفَّقَةِ سَدِيدَةٍ ؛ فَأَسْرَعَتْ إِلَى طِفْلِهَا ، وَدَفَعَتْهُ بِفِيهَا قَلِيلًا ، ثُمَّ قَذَفَتْ بِهِ إِلَى الْمَاءِ .

فَلَبِثَ الْمِسْكِينُ طَافِيًا عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ بِلا حَرَاكِ ، وَقَدْ يَتَسَّرَ مِنْ حَيَاتِهِ كُلُّ مَنْ رَأَاهُ . وَلَكِنْ إِخْوَتَهُ وَأَصْدِقَاءَهُ أَسْرَعُوا إِلَيْهِ ، وَظَلُّوا يَسْبَحُونَ (يَعْمُومُونَ) حَوْلَ « الْمَلْجُومِ » ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ بِمُيُونٍ مِلْوُهَا الْجَزَعُ وَالْأَسْفُ . فَقَالَتْ « أُمُّ هُبَيْرَةَ » فِي حُنُوٍّ وَإِشْفَاقٍ :

« لَقَدْ مَاتَ وَلَدِي الْعَزِيزُ . فَوَا حَزَنًا عَلَيْهِ ! »

فَصَاحَ « أَبُو بُرَيْصٍ » فَجَاءَهُ : « كَلَّا . لَمْ يَمُتْ ، وَلَا يَزَالُ فِي الْأَمَلِ فُسْحَةٌ — يَا صَدِيقِي — فَإِنِّي أَرَى جِسْمَهُ يَتَحَرَّكُ . هَا هُوَ ذَا يُحَرِّكُ إِحْدَى يَدَيْهِ . »

٩ — نَجَاءُ « الْمَلْجُومِ »

فَدَبَّ الْأَمَلُ فِي نُفُوسِ الْحَاضِرِينَ ، حِينَ رَأَوْا ذَلِكَ الضَّفْدِعَ الصَّغِيرَ يَمُودُ إِلَى الْحَيَاةِ شَيْئًا فَشَيْئًا . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ اسْتَعَادَ ذَا كِرَّتِهِ ، وَسَأَلَ مَنْ حَوْلَهُ :

« تَرَى أَيْنَ أَنَا ؟ وَمَاذَا أَصَابَنِي ؟ آه ! لَقَدْ ذَكَرْتُ الْآنَ كُلَّ

شَيْءٌ ، وَعَرَفْتُ خَطَرَ مَا أَقَدَمْتُ عَلَيْهِ حِينَ قَفَزْتُ مِنَ الْمَاءِ إِلَى
 كَوْمَةِ الْحَشَائِشِ ؟ وَإِنَّمَا حَفَزَنِي إِلَى ذَلِكَ شَوْقِي إِلَى رُؤْيَا هَذَا السَّيِّدِ
 الطَّوِيلِ الْأَنْفِ ، الَّذِي يَتَحَدَّثُ — أَكْثَرَ الْوَقْتِ — مَعَ أُمِّي الْحُنُونِ .
 وَلَنْ أَجَازِفَ مَرَّةً أُخْرَى ، وَحَسْبِي أَنْ كُتِبَتْ لِي السَّلَامَةُ بَعْدَ الْيَأْسِ !
 ثُمَّ هَتَفَ الضَّفْدِيُّ قَائِلًا : « شُكْرًا لِلْمَاءِ ! »
 فَزِدَّتْ إِخْوَتُهُ هَتَافَهُ ، فَرِحَةً مُسْتَبْشِرَةً .

ثُمَّ عَاوَدَهُ الْمَرَحُ ، وَشَارَكَهُ فِي مَرَحِهِ أَخَوَاتُهُ : الشَّرْنُغُ ، وَالشَّرْنُوْغُ ،
 وَأَبُو هُبَيْرَةَ ، وَدَابَّةُ الْمَاءِ ، وَالْقُرَّةُ ، وَالْعُدْمُولُ ، وَالْهَاجَةُ ، وَالْهُوَيْجَةُ .
 وَغَاصُوا مَعَهُ إِلَى قَاعِ الْمَاءِ مَسْرُورِينَ بِنَجَاتِهِ مِنْ هَلَاكِ مُحَقَّقٍ .

١٠ — دُرُوسُ النَّطِّ

وَلَمْ يُوَفِّ الصَّيْفُ عَلَى نِهَائِهِ ، حَتَّى كَبُرَتْ أَطْفَالُ « دَابَّةِ النَّهْرِ »
 وَاسْتَخَفَّتْ أُذُنَاهُ الطَّوِيلَةُ ، وَسَمِعَتْ أَجْسَادُهَا النَّحِيلَةَ . وَكَانَتْ « بَنَاتُ
 هُبَيْرَةَ » — فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ — تُقْبِلُ عَلَى الطَّعَامِ فِي شَرِّهِ عَجِيبٍ . وَقَدْ نَشَأَتْ
 لِكُلِّ ضَفْدِيٍّ مِنْهُنَّ يَدَانِ قَصِيرَتَانِ ، وَرِجْلَانِ طَوِيلَتَانِ .

وَقَدْ عَرَاهُنَّ (أَلَمْ يَهْنَنَّ) الْخَوْفُ حِينَ خَرَجْنَ مِنَ الْمَاءِ — لِلْمَرَّةِ

الأولى - ولكنَّ أُمَّهِنَّ شَجَعْنَهُ عَلَى اتِّبَاعِهَا ؛ حَتَّى إِذَا وَصَلْنَ إِلَى الْحَشَائِشِ ،
ظَلِلْنَ يُرْمَنَ أَنْفُسَهُنَّ عَلَى الْقَفْرِ وَالنَّطِّ . وَقَدْ أَوْصَتْ « أُمُّ هُبَيْرَةَ »
بَنَاتِهَا أَنْ يَقْتَصِدْنَ فِي قَفَرِهِنَّ ؛ حَتَّى لَا يَذْفَعَهُنَّ الطَّيْشُ وَالْحَمَافَةُ إِلَى
الْهَلَاكِ . وَقَدْ اجْتَمَعَتِ الضَّفَادِعُ الْكَبِيرَةُ أُسْرَابًا (جَمَاعَاتٍ) ؛ لِتَشْهَدَ ذَلِكَ
التَّمْرِينَ ، وَأُعْجِبَتْ بِمَا أَظْهَرَتْهُ تِلْكَ الصَّغِيرَاتُ مِنَ الْحَذَقِ وَالْبَرَاعَةِ
وَالذِّكَاوِ . عَلَى أَنَّ إْحْدَى هَذِهِ الضَّفَادِعِ ، وَاسْمُهَا « الْقُرَّةُ » ، قَفَزَتْ
- بِلاَ تَبْصِيرٍ - قَفْزَةً عَالِيَةً ؛ فَهَوَتْ عَلَى أَنْفِهَا ، قَتِهَتْمْ وَتَحَطَّمَتْ .

١١ - دُرُوسُ الصَّيْدِ

وَمَا زَالَتْ « دَابَّةُ النَّهْرِ » تُعَلِّمُ ذُرَارِيَهَا (أَوْلَادَهَا) : كَيْفَ تَبْتَلِعُ
الْحَشَرَاتِ وَالْخَنَافِيسَ الَّتِي تُصَادِفُهَا فِي طَرِيقِهَا ؟ وَكَيْفَ تَصْطَادُ أُسْرَابَ
الذُّبَابِ (جَمَاعَاتِهِ) الرَّاقِصَةِ حَوْلَ الْغَدِيرِ ؟ وَهُوَ أَشْهَى طَعَامٍ تَرْتَاحُ
إِلَيْهِ الضَّفَادِعُ . وَمَا تَذَوَّقَتْهُ صِغَارُهَا حَتَّى آثَرَتْهُ (اخْتَارَتْهُ وَفَضَّلَتْهُ)
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَلَمْ تَرْضَ بِهِ بَدِيلًا .

١٢ - دُرُوسُ الْمَوْسِقَى

وَاغْتَزَمَتْ « أُمُّ هُبَيْرَةَ » أَنْ تُعَلِّمَ صِغَارَهَا : كَيْفَ تَنْقُ (كَيْفَ تَصِيحُ) ،

وَكَيْفَ تُنْقِنُ (كَيْفَ نُصَوِّتُ صَوْتًا يَفْصِلُ بَيْنَهُ مَدٌّ وَتَرْجِيعٌ) ،
 وَكَيْفَ تُنْشِدُ أَجْمَلَ الْأَنْشِيدِ ، وَتُعْنِي أَحْسَنَ الْأَغَانِي الْمُسْتَفِيضَةِ الشَّهْرَةِ
 بَيْنَ الضَّفَادِعِ ؟ وَكَانَ صَوْتُهَا أَبْجَ (فِيهِ بَحَّةٌ وَخُسُونَةٌ وَغِلْظٌ) شَأْنُ
 أُمَمَاتِ الضَّفَادِعِ دَائِمًا ؛ فَلَمْ تَرَ بُدًّا مِنْ أَنْ تُوصِيَ شَيْخَ الضَّفَادِعِ أَنْ
 يُلَقِّنَهُنَّ الْمَوْسِيقَى بِصَوْتِهِ الْجَمِيلِ .



وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَبْنَاءُ تُقْبِلُ عَلَى دُرُوسِهَا فِي
 جِدِّ وَاجْتِهَادٍ وَحَمَاسَةٍ . فَإِذَا انْتَهَتْ مِنْ حِفْظِ
 التَّمْرِينَاتِ الْمَوْسِيقِيَّةِ ، انْتَقَلَتْ إِلَى التَّدْرِبِ
 عَلَى إلقاءِ الْأَغَانِي الشَّعْبِيَّةِ الذَّائِعَةِ بَيْنَ الضَّفَادِعِ .

١٣ - أَنْشِيدُ الضَّفَادِعِ

وَكَانَتِ الضَّفَادِي (الضَّفَادِعُ)
 تُنَظِّمُ صُفُوفَهَا عَلَى شَاطِئِ
 الْغَدِيرِ، حَيْثُ تَقْضِي السَّاعَاتِ

الطَّوَالَ، وَهِيَ لَا تَسْكِلُ وَلَا تَنِي (لَا تَضْمُفُ هِمَّتَهَا وَلَا يَقْتَرُ عَزْمَهَا)

عن مواصلة النقي. ومتى تألقت (أضاءت ولمعت) كواكب السماء،
 رأيت صغار الضفادع جلمات (مُقيّمات) على أوراق «الثلوفر»، حيث
 تنقص على العالم أحلام سعادتها. ولا تزال تُحيي مصايح السماء (نجومها)
 بأناشيدِها حتى تستسلم إلى رقادها الهنيء في أمن وسلام.

١٤ - خاتمة القصة

وهكذا عاشت «دابة النهر» هائلةً وسط أسرتها الجميلة، وعاش
 - إلى جانبها - صديقها الوفي المخلص: «أبو برنص»، يقاسمها
 السعادة والهناء.

آراء في مكتبة الكيلاني للأطفال

الأديب الكامل الأدوات^(١)

عندما أتاح لي القدر - هذه المرة - دخول « مصر » بعد غيبة سبع وعشرين سنة عن هذا الوادي المقدس ، ألفت - فيما ألفت من كنوزها - خبئة مكنونة يقال لها : « السيد كامل الكيلاني » ؛ إذ ليس من ذوى المناصب الرسمية العالية ، ولكنه من ذوى المناصب النفسية العالية : أقامه أدبه بالمقام الذي قعد عنه منصبه . وما زالت رتبة العلم أعلى الرتب .

• • •

فمن عرف هذا الجهد القدح حق المعرفة ، رأى فيه بحرًا زخارًا يُغرق منافسيه بكل لجة ، وعثر على خزانة أدب مكتظة ، صاحبها حجة اللعة لا « ابن حجة » : نادرة زمانه في الحفظ ، وأعجوبة عصره في النقد ، وآية من آيات الله في سلامة الذوق ، والمثل البعيد

(١) بقلم الأمير شكيب أرسلان .

فِي الْبَدِيَّةِ ، وَالْمُسْتَوَلَى عَلَى الْأَمَدِ فِي حَرَارَةِ النُّكْنَةِ ، وَالْقِيَاسُ الْأَتَمُّ
فِي حُسْنِ الْمُحَاضَرَةِ .

هَذَا إِلَى أَخْلَاقِ رَضِيَّةٍ ، وَمَنَازِعِ آيَّةٍ ، وَصَفَاءِ سَرِيرَةٍ ، وَوَفَاءِ شَيْمَةٍ ؛
وَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَمْ يُزَيِّنْهُ خُلُقٌ ، وَلَا جَدَاءَ فِي دَرْسٍ لَيْسَ وَرَاءَهُ نَفْسٌ .

وَهُوَ فِي هَذَا الْمَضَرِّ مِنْ سُبَاقِ حَلَبَنِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ :
يَكْفِيهِ فُخْرًا وَأَجْرًا سِلْسِلَةُ الْكُتُبِ الَّتِي أَلْفَهَا لِلْأَطْفَالِ ؛ فَشَاعَتْ
فِي الْأَقْطَارِ ، وَطَارَتْ شَهْرَتُهَا كُلَّ مَطَارٍ .

وَقَدْ كَانَ فِيهَا نَسِيجٌ وَخَدِيدٌ ؛ فَأَوْدَعَ فِيهَا جَمِيعَ مَا تَلَزَمَ الْأَخْدَاتِ
مَعْرِفَتُهُ مِنْ أُمُورِ الْكَوْنِ ، عَلَى حَسَبِ دَرَجَةِ السَّنِّ ، وَذَلِكَ بِأَسْلُوبِ
مَتِينٍ تَتَجَلَّى فِيهِ قُوَّةُ اللُّغَةِ ، وَتُنَشَأُ بِهِ عِنْدَ الْأَخْدَاتِ مَلَكَهُ الْمَرْيَّةِ ،
وَبَلَهَجَةٍ رَقِيقَةٍ تُنَاسِبُ رِقَّةَ قَلْبِ الطِّفْلِ ، وَتَزِيدُهُ رَغْبَةً فِي الدَّرْسِ ،
وَتَطْبَعُهُ عَلَى الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ ، وَتُنَشِّئُهُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ مُبِينٌ .

فَكَانَتْ هَذِهِ الْمَأَثَرَةُ لِلْسَيِّدِ الْكِيلَانِيِّ مِنْ أَبْكَارِ الْمَآثِرِ ،
لَا يَتِمَّارَى فِيهَا مُتَمَارٍ : سَدَّ بِهَا مُنْمَةً فِي عِلْمِ التَّرْيِيَةِ الْمَرْيَّةِ كَانَتْ

مِنْ أَهَمِّ عَوَارِهَا ، وَحَقَّقَ - فِي مُهِمَّةِ تَهْذِيبِ النَّشْءِ - أُمْنِيَّةً هِيَ مِنْ أَعْظَمِ لُبَانَاتِهَا . فَكَانَتْ لَهُ رِيَاةُ هَذَا الْفَنِّ بِحَقِّ ، وَمَا ظَلَمَ مَنْ قَالَ : إِنَّهُ اسْتَأْثَرَ فِيهِ بِالسَّبْقِ . فَجَزَاهُ اللَّهُ خَيْرَ مَا يَجْزِي عِبَادَهُ الْعَامِلِينَ . وَهَذِهِ مِنِّي شَهَادَةٌ مَنْ رَأَى وَسَمِعَ ، أَشْهَدُ بِهَا عَلَى اللَّهِ وَعِبَادِ اللَّهِ : « وَلَا تَكُنُّمُ شَهَادَةَ اللَّهِ . إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآمِنِينَ » .
وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

مصر ٢١ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٨

شكيب أرسلان

أُسْلُوبُ الْكِلَافِي

... وَتَمَازُ تَوَالِيفُ الْكِلَافِي بِالْبَسَاطَةِ فِي التَّعْبِيرِ ، وَالصَّحَّةِ فِي الْأَلْفَاظِ ، وَالرَّقَّةِ فِي التَّنْكِيبِ ، وَالِدَقَّةِ فِي الْأَدَاءِ ، وَالسَّلَاسَةِ وَالسَّهُولَةِ ، مَعَ اجْتِنَابِ كُلِّ غَرِيبٍ وَنَابٍ ، وَمَعَ تَوَخُّي التَّدْرِجِ بِالطَّفْلِ .
هَذَا إِلَى الشَّكْلِ الْكَامِلِ - حَتَّى يُؤْمَنَ الْخَطَأُ - وَالْإِكْثَارُ مِنْ الصُّورِ الْجَمِيلَةِ الْمُفْرِيَةِ بِالْقِرَاءَةِ ...

إبراهيم عبد القادر المازني

١٩٩٣ / ٢٨٢٧	رقم الإيداع
ISBN 977 - 02 - 3992 - 5	الترقيم الدولي

١ / ٩٢ / ١٢٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

OTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الأطفال بقلم كمال كيلاني

أبطال العالم

- ١ الملك ميداس . ٢ في بلاد العجايب .
- ٣ القصر المتهنى . ٤ قصاص الأثر .
- ٥ يطل آتينا . ٦ القليل الأبيض .

قصص عليّة

- ١ أسدقاء الربيع . ٢ زهرة البرسيم .
- ٣ في الاصطبل . ٤ جبارة الغاية .
- ٥ أسرة السناجب . ٦ أم سند وأم هند .
- ٧ الصديقتان . ٨ أم مازن .
- ٩ المتكب الخزين . ١٠ التحلة الداملة .

أشهر القصص

- ١ جلفر في بلاد الأفرام . ٢ « في بلاد المعلقة .
- ٣ « في الجزيرة العتيقة . ٤ « في جزيرة الحيات الناطقة .
- ٥ روبنسون كروزو .

قصص عربية

- ١ حتى بن يقطين . ٢ ابن جبير في مصر والحجاز .

قصص تمثيلية

- ١ الملك التجار .

قصص فكاهيّة

- ١ عمارة . ٢ الأرنب الذكي .
- ٣ عقاريت النصوص . ٤ نهران .
- ٥ المرتفس . ٦ أبو الحسن .
- ٧ حذاء الطيور . ٨ بنت الصباغ .

قصص من ألف ليلة

- ١ بابا عبد الله والدرويش .
- ٢ أبو صير وأبو قير . ٣ علي بابا .
- ٤ عبد الله البري . ٥ عبد الله البحري .
- ٦ خسرو شاه . ٧ السندباد البحري .
- ٨ علاء الدين . ٩ تاجر بغداد .
- ١٠ مدينة النحاس .

قصص حديثة

- ١ الشيخ المتهنى . ٢ الوزير السجين .
- ٣ الأميرة القاسية . ٤ غام الذكري .
- ٥ شبكة الموت . ٦ في غابة الشياطين .
- ٧ صراع الأخوين .

قصص شكير

- ١ العاصفة . ٢ تاجر البنطقة .
- ٣ يوليوس قيصر . ٤ الملك لير .



دار المعارف

٢٠٠٠

١٤٧

Bibliotheca Alexandrina



0287053

مكتبة الإسكندرية